مجلة مداد الآداب

مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين من خلال الحفاظ على الثقافة والتراث الشعبي

أ.م.د. أحمد حسين عبد الجبوري

جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الانسانية

مستخلص

نظرا لأهمية التراث في تاريخ الامم والمجتمعات كونه يمثل الجذور التاريخية الضاربة في اعماق التاريخ وماضي الامة المجيد وسفرها الخالد ولأنه بمثابة الهوية التي من خلالها يبرز المجتمع، فأن الامم لا تدخر جهدا في توظيف الطاقات والامكانات لحماية تراثها ونشره وتفعيله بما يتماشى مع صور العصرنة والحداثة دون المساس بجوهره واصالته.

أن الشعب الفلسطيني هو الاجدر بالتمسك بتراثه والحفاظ عليه نظرا لما يقوم به الاحتلال الصهيوني من ممارسات ومحاولات مستمرة لسرقته وطمسه وتهويده بهدف الترويج دوليا لتراث وتاريخ مختلق ومزعوم يرتبط تاريخيا وجغرافيا وديموغرافيا بهذه الارض.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة والتي ستركز على الزي الشعبي الفلسطيني كنموذج او مثال واضح لتراث وثقافة الامة الفلسطينية ولكل تلك الممارسات الصهيونية منذ اللحظة الاولى لاحتلال فلسطين وبأساليب مختلفة. وسيتم التعرض في الدراسة إلى التعريف بالزي الفلسطيني وتوضيح مراحل تطوره التاريخية ومدى اهميته ودلالاته المختلفة.كما تتناول طبيعة ونوعية الزخارف والالوان المستخدمة وما تعكسه من دلالات اجتماعية واقتصادية وعمرية ودينية بين طبقات وشرائح المجتمع الفلسطيني. فضلا عن ذلك سيتم طرح عدد من المقترحات والتوصيات التي ستساعد على جمع وحفظ وترويج التراث الفلسطيني ليبقى ويستمر رغم كل المعوقات والمصاعب.

الكلمات المفتاحية: المقاومة، الثقافة، تراث، فلسطين، الحداثة، المراحل التاريخية.

المقدمة

تعرضت الثقافة والتراث الفلسطيني بشكل عام والازياء الشعبية منه بشكل خاص إلى نكبات وكوارث وتشويه وتغييب على مر العصور، لكنها لم تصل إلى فظاعة ما يواجه في العصر الحديث من محاولات الطمس والتهويد والعصرنة المفتعلة من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني. أن التراث الفلسطيني بكل مكوناته واجه مشاكل وعقبات كثيرة مثل الطمس والتشويه والدمار والسرقة والضياع، والتخطيط السيء غير المدروس بموضوعية، نقص الكفاءات والخبرات المتخصصة، قلة الامكانيات المادية، وعدم التنسيق والتخطيط البناء بين المؤسسات المختلفة ذات العلاقة، مما يعني عدم إعطاء اية اولوية لهذا المجال واهماله والتعامل معه بصورة ثانوية.

تتناول هذه الدراسة المحاولات الرامية إلى طمس معالم التراث الفلسطيني، والوسائل والاجراءات المتعددة والمبتكرة التي تنتهجها سلطات الاحتلال الصهيوني في سبيل تحقيق ذلك، خاصة فيما يتعلق بالأزياء الشعبية الفلسطينية التي تمثل رمزا للهوية الوطنية، فضلا عن الاليات والطرق التي يجب اتباعها والعمل بها لمواجهة ذلك كله والمحافظة على هذا التراث وحمايته ونشره والتعريف به، وابرازه بصورة مشرفة تليق بحضارة بلد الانبياء والرسل، واولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، حتى يعكس تأريخه، ويبرز هويته، ويكرس ارتباطه بالأرض المقدسة.

تأسيس تاريخي عن نشأة الازياء الشعبية الفلسطينية :

يرى البعض ان الازياء الشعبية الفلسطينية قد ظهرت في العصر الحجري القديم عندما كان الانسان في مرحلة الصيد ويصنع لباسه من جلود الحيوانات، وهذا ما أوضحته النقوش المكتشفة من كهف ام قطفة عند البحر الميت وكهوف بئر السبع منذ اكثر من خمسة وثلاثون الف سنة قبل الميلاد[١]، بينما عرفت الملابس المنسوجة بعد معرفة التدجين والزراعة والاستقرار في القرى ثم المدن الاولى، حيث عثرت البريطانية كاثلين كنيون على تمثال الالهة الام عناة الهة الخصب من الالف السابع قبل الميلاد على ملابس في فلسطين [٢]، أما فيليب حتي

فيرى ان فلسطين أستمرت في انتاج الملابس المطرزة وعرفت المغازل والاثقال الحجرية للأنوال منذ الالف الثالث قبل الميلاد، فضلا عن الابر والدبابيس(٣).

مما يعني أن الكنعانيين مارسوا دورا مهما في هذا المجال حيث انهم كانوا مهرة في صناعة الاقمشة واستخراج الاصباغ الارجوانية او الحمراء اللون وفي زخرفة الملابس وصناعة النسيج، ويؤكد ذلك الرسوم الجدارية الفرعونية من مقابر بني حسن حوالي سنة الف وتسعمائة قبل الميلاد، وقاموا بتسويقها في رحلاتهم وتجارتهم في جزر البحر المتوسط وجنوب اوروبا، فقد كان التطريز مكرسا عندهم لملابس رجال البلاط والنبلاء والمعابد بسبب توفر الاموال والخيوط الذهبية، ثم توالى استمرارها في العصور الكلاسيكية اليونانية والرومانية حيث كان الجنود يحملون معهم الملابس الفلسطينية المطرزة. كما لبس رجال الدين من اليهود والمسيحيين الزي الكنعاني المطرز مما ساهم في أنتشاره وتعميمه(٤).

وفي العصور الاسلامية كالفاطمي والايوبي والمملوكي مرورا بالعصر الصليبي وانتهاء بالعثماني – الذي كثرت فيه مشاغل النسيج في فلسطين وأن الزراعة قد أثرت سلبا على هذه الحرفة لعدم تفرغ النساء لها إلى حد كبير– فأنها بقيت مستخدمة، ومنذ انتهاء الخلافة العثمانية وقيام نظام الانتداب البريطاني ثم الاحتلال الصهيوني نجد ان الكثير من التغييرات قد طرأت على المطرزات الفلسطينية سواء من خلال وسائل الغزو الثقافي أو بتشجيع الناس على ارتداء الملابس الحديثة والابتعاد عن القديمة والشعبية منها مع الترويج بأنها عنوان للتخلف وعدم مواكبة التطور والموضة(٥)، وبشكل عام اشتهرت العديد من المدن الفلسطينية في حرفة النسيج كالمجدل والناصرة، ولكن تبقى غزة أقدمها رغم عدم تحديد متى وكيف وصلتها هذه الصناعة(٦).

الزي الشعبي الفلسطيني. أهميته ودلالاته :

أن الزي الفلسطيني يمثل هوية ثقافية وتاريخية، ويعبر من الناحية الاجتماعية عن ارتباط الانسان الفلسطيني بأرضه ووطنه، ويميزه عن غيره. وبما أن الزي الفلسطيني حامل لهويته الثقافية وشاهد على تأريخه، فأنه يستخدم في التعبير عن موقف الشخص الذي يلبسه كما هو الحال في التضامن معه عندما تلبس الكوفية (الحطة) في المظاهرات والاحتجاجات ضد المحتل، فهي تكون بمثابة اثبات وجود للكيان الفلسطيني كله(٧).

تتباين اشكال وأساليب التطريز من منطقة لأخرى، مما يحتم علينا دراسة جغرافية المكان وثقافة الحرفي او الصانع الذي أشتغل بهذه الحرفة واجاد فيها، لذا نجد أن الزي البدوي يتباين بين شمال وجنوب فلسطين بسبب الفروق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والموروثات الحضارية(٨).

بينما نجد أن الزي في القرى والارياف يرتبط بشكل رئيسي بالزراعة، وهو الاكثر شيوعا، حيث تتفاوت زينته من منطقة لأخرى بحكم الاختلاف بين السهل والجبل والساحل، كما تتميز أشكالها بتكرار الاشكال الهندسية، وبأنها توضح روائع الطبيعة الريفية كالنجمة والزهرة والسنبلة وعباد الشمس والنخيل وغيرها، لذا فأنه تراث زراعي مرتبط بحياة الاستقرار(٩).

أما في المدن فيختلف لباس الرجل بوضع الطربوش على الرأس بدلا من الحطة والعقال، مع أن هذه الصورة تغيرت ولو لفترة مؤقتة خلال ثورة ١٩٣٦ عندما طلبت قيادات الثورة الفلسطينية آنذاك من سكان المدن استبدال الطربوش بالحطة والعقال للحيلولة دون اعتقال الثوار داخل المدن(١٠). ويختلف أيضا ثوب القروية عن البدوية سواء في الغرزة او الالوان او الاشكال، فنجد عناصر مكملة عند البدوية لا تتوفر عند القروية مثل الرقع والحزام والشناف(١١).

كل ذلك يدعونا إلى دراسة الازياء الشعبية الفلسطينية بتعمق من حيث اللون، الحياكة، التطريز، والتباين او سبب الاختلاف. فقد استوحى الزي الفلسطيني الوانه من الطبيعة خاصة من النباتات كالزعفران والذي أستخرج منه اللون الاصفر ومن نبات النيلة الذي ينمو في أريحا استخرج اللون الازرق، اما اللون البني فتم الحصول عليه من لحاء الشجر في حين انه استغل ورق الشجر للحصول على اللون الاخضر، بينما اللون الاحمر أستخرج من حيوانات الموركس الصدفية من ساحل البحر المتوسط(١٢).

وفيما يتعلق بالقماش أو النسيج فأن المفضل منه ما يزال الاسود والابيض والكريمي اللون، ورغم استمرار كثير من الزخارف القديمة في الاستعمال مثل القمر والنجوم والازهار والطيور المتنوعة، الا اننا نلاحظ ندرة استخدام الزخارف البشرية على الازياء الفلسطينية(١٣)، كما ظهرت الزخارف بالكتابات الكوفية على حواشي الازياء إلى جانب النماذج الهندسية والنباتية والحيوانية، وخلال الحروب الصليبية كانت نابلس مشهورة بصناعة الاقمشة الكتانية، بينما اشتهرت عكا بصناعة الحرير الشامي(١٤).

أما فيما يتعلق بالعوامل التي اثرت فيه بشكل واضح، فقد تأثر الزي الفلسطيني بصفة الاحتشام في اللباس والتي ارتبطت بالأنبياء في الديانات المسيحية والاسلام على حد سواء، ولكن التغير ظهر جليا عند الرجال المسلمين خلال حكم الدولتين الاموية والعباسية من خلال التبرج والتزين، وفي نفس الوقت ظهر الحجاب بالنسبة للنساء وخاصة في المدن[١٥]، ولان الاسلام حرم على الرجال التشبه بالنساء، فأنهم ارتدوا الثياب ذات الزخارف المنسوجة بينما لبست النساء الازياء المطرزة[١٦]، ويظهر ايضا تأثير الدين الاسلامي في الزخرفة من خلال التركيز على قدسية النباتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كالنخيل والزيتون والعنب والسنابل وغيرها، إلى جانب بعض الطيور والحيوانات كالديك الذي يرتبط بطابع ديني يتمثل ببزوغ الفجر واذان الصبح والرجولة [١٧].

كما مارست العادات والتقاليد دورا مهما في التأثير على زي المرأة الفلسطينية سواء المسيحية او المسلمة، حيث فرضت عليها عناصر من الزي مثل الملاية والازار والحجاب وغيره، كما تباين تأثير الطقس على الزي الفلسطيني بين الصيف والشتاء خاصة، مما ينعكس على اختيار الالوان الملائمة لكل منها، فضلا عن نوع وطبيعة القماش للوقاية من الحر والبرد، ويتضح تأثير الحضارات والمدنيات نتيجة الاحتكاك بين الشعوب والمجتمعات في كل من الالوان والخطوط والخصائص ومصدر كثير من الاسماء التراثية لعناصر الزي الفلسطيني كالطاقية ذات الاصل الفارسي، والمنديل من الايطالية (منتيل)، والسروال من الفارسية (شلوار)، اما الطربوش فاصلها من الفارسية (ساربوش) والذي يرجع تاريخه إلى اواخر عصر المماليك في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، كما يظهر على لباس منطقة الناصرة التأثير الشركسي والتركي[١٨].

أن تعدد الاقليات الدينية وما نتج عنه من تنوع العادات إلى جانب التطور والازدهار في مجال السياحة ووسائل النقل في القرن العشرين، كل ذلك، مارس دورا مهما في التأثير على الزي الفلسطيني، فألغيت بعض الملبوسات مثل الصمادة والدامر والعباءة والعصبة، فضلا عن تطور تقاليد الاحتفالات كالأعراس بشكل خاص، حيث تتفاوت المطرزات بناء على المناسبات المختلفة والعادات والتقاليد المرتبطة بها كثياب العمل والاعياد والمواسم والحداد والزواج

وغيرها، وكان للتشتت والتهجير بسبب النكبة تأثير واضح، حيث ربطت الفلسطينيين بتراثهم وازيائهم بدرجة لا تقل عن ارتباطهم وتعلقهم بارضهم ومقدساتهم(١٩).

فضلا عن ذلك نرى ان تلك الاحداث والحروب والمآسي والانتفاضات قد اثرت على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه واشكاله، ويتجلى ذلك فيما يسمى ثوب الانتفاضة الذي ظهر في مدينة الخليل بعد سنة ١٩٨٨ تعبيرا عن الوضع الذي يسود المجتمع الفلسطيني، وظهرت عليه رسوم مطرزة لخارطة فلسطين والعلم الفلسطيني واغصان الزيتون وحمامة السلام، حيث انتشر في قرى فلسطين بسرعة ثم وصل إلى اماكن التواجد الفلسطيني في الخارج(٢٠).

من العوامل الاخرى المؤثرة في الزي الفلسطيني يظهر عامل السن والوقار، فتبدوا ثياب كبار السن من النساء اقل زخرفة والوانها قاتمة نسبيا وقماشها سميك ورخيص للدلالة على الحشمة والوقار، اما عامل الجنس فيبدوا من خلال تركز الزخرفة على ثياب النساء وندرتها عند الرجال، بينما نجد تأثير عامل الزواج باستعداد الفتاة لعرسها حيث تقوم بتطريز عدد من الثياب لنفسها قبل الزواج، ولتبدوا ناجحة مميزة امام عريسها(٢١).

لقد كانت المرحلة الاولى التي مر بها الزي الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨ تشمل التركيز على ابتكار العروق والزخارف ذات الدلالات السياسية والثورية مثل عرق السلحليك، الفشك، الطير او الحمام، الملس، الجبل، الحصان و حيفا ويافا، الفنجان، وقد اثرت نكبة ١٩٤٨في التطريز الفلسطيني فلم يعد مقتصرا على القرى والارياف، بل تعداه إلى المدن من خلال مشاركة المرأة للرجل في كثير من الاعمال لزيادة دخل الاسرة ومن بينها التطريز الذي ابدت فيه مهاراتها، كما ساعدتها في ذلك الجمعيات النسائية التي وفرت لها الظروف الانتاجية والتسويقية الملائمة، وهذا كله سرع في عمليات التغيير في اللباس الفلسطيني(٢٢).

تركز في المرحلة الثانية ما بين عامي (١٩٤٨-١٩٦٥) الاهتمام على الحفاظ على التراث نتيجة للنهب والتدمير من الجانب الصهيوني بكافة الاساليب.ومن الجدير بالذكر انه يتم تزيين مناطق معينة من الثوب خاصة اسفله، جوانبه، اكمامه، وقبته، وذلك لاعتقاد شعبي ان الارواح الشريرة تدخل من الفتحات في الملابس، مما يشير إلى الايمان بالغيبيات والقوى الخفية. وفي هذا المجال كان للمثلث كوحدة زخرفية دور واضح في اعتقاد البعض بانه يحميهم من

القوى الشريرة والحسد، لذا استمر استخدامه على الازياء الفلسطينية المعاصرة خاصة في مناطق بئر السبع والخليل(٢٣).

كانت المرأة ترسم ما تراه من جمال الطبيعة والارض على مطرزاتها، ففي حيفا رسمت البرتقال وفي الخليل العنب والزيتون، بينما في بئر السبع، فأنها لعدم وجود الاشجار هناك استمدت من السماء وحي مطرزاتها ونقوشها من النجوم كنجمة الصباح وبنات النعش والنجمة الثمانية (٢٤).

لذا، فأنه من الضروري لكل شعب ان يتمسك بتراثه وثقافته ليكون امانا له من اي تغيير مدمر قد ينتج عن الاندفاع المحموم نحو التقدم، وهذا لا يعني التمسك المطلق به لأنه ربما يكون سلبيا على اصحابه، خاصة اذا ما رفضوا مناقشة اي جديد لمجرد كونه جديد. وربما يكون السبب الرئيس للتمسك به هو الاخلاص الشديد له والسير على خطى الاباء والاجداد(٢٥).

المحاولات الصهيونية لطمس الثقافة والتراث الفلسطيني:

اصبح لا يخفى على احد ان الكيان الصهيوني يكرس كل جهوده ويوظف كل امكانياته لتحقيق مزاعمه وادعاته التي تعبر عن عقدة النقص التي يعاني منها، كل ذلك من اجل اختلاق تاريخ وحضارة في فلسطين، ثم العمل على تشويه وطمس المعالم التراثية الفلسطينية العربية الكنعانية وتهويدها ومحاربة الثقافة الشعبية الفلسطينية من خلال نشر وتعميم الثقافة الصهيونية وفرضها على المجتمع الفلسطيني الصامد في ارضه المرابط فيها للحفاظ على وحدة كيانه وتماسك شعبه المقاوم للاحتلال البغيض.

أن تصريحات واقوال العديد من الشخصيات والقيادات الصهيونية تؤكد ذلك، وفي مقدمتها مقولة ثيودور هيرتزل مؤسس الصهيونية في كتابه (الدولة اليهودية):"علينا ان نمتلك الوطن اليهودي الجديد، مستخدمين كل ذريعة حديثة وبأسلوب لم يعرفه التاريخ حتى الان وبإمكانات نجاح لم يحدث مثلها من قبل "(٢٦)، اما كولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني السابقة فتقول " ليس هناك من شعب فلسطيني، وليس الامر كما لو اننا لنطردهم من ديارهم والاستيلاء على بلادهم، انهم لاوجود لهم "(٢٧).

وبالرغم من كل الافعال والممارسات ووسائل التزييف الا ان بعض اليهود لم يعد مقتنعا بها، مما حدا السياسي الصهيوني عاموس ايالون القول: " اننا اصبحنا غير قادرين على ترديد

الحجج البسيطة المصقولة وانصاف الحقائق المتناسقة التي كان يسوقها الجيل السابق"[٢٨]، واكثر من ذلك ما نجده عند ابرز مؤرخيهم بني موريس حينما يقول: "نحن الإسرائيليين كنا طيبين، لكننا قمنا بأفعال مشينة وبشعة كبيرة، كنا ابرياء لكننا نشرنا الكثير من الاكاذيب وانصاف الحقائق، التي اقنعنا انفسنا والعالم بها "[٢٩]، اما الشاعر اليهودي ايلي ايلون فيقول:" ان البعث التاريخي للشعب اليهودي واي شيء يقيمه الاسرائيليون مهما كان جميلا، انما يقوم على ظلم الامة الاخرى، ولسوف يخرج شباب اسرائيل ليحارب ويموت من اجل شيء قائم اساسا على الظلم، ان هذا الشك، يشكل اساسا صعبا للحياة "[٣٠].

اما مناحيم بيغن رئيس وزراء الكيان الصهيوني الاسبق وقائد احدى منظماتهم الدموية فيزعم" ان كل ما هو فلسطيني في التاريخ والجغرافية، هو اسرائيلي بالضرورة منذ كان التاريخ، وكانت الجغرافيا"[٣١]. ولا يخفى على احد اليوم ان كل تلك التصريحات والاجراءات الصهيونية من اجل محو تراثنا الفلسطيني عامة والازياء الشعبية منه خاصة وثقافتنا الحاضرة في وجدان كل فلسطيني ولد على هذه الارض المقدسة. ولذلك اكتشف الشعب الفلسطيني نكبته في ازيائه والتي لا تنفصل عن نكبته الكبرى في ارضه ووطنه.

ولم تكن الكاتبة اليهودية زيفا امير اقل من الاخرين في تزييف الحقائق، حيث تجاهلت في كتابها (ارابسك) الصادر سنة ١٩٧٧ اصل فن التطريز الفلسطيني العربي الكنعاني، فعمدت إلى تعويمه فاطلقت عليه (فن الاراضي المقدسة). وعلاوة على ذلك، فأنها الصقت به الصبغة التوراتية من خلال ذكرها لنص من سفر الخروج " لقد ملائهم الرب بالحكمة ليؤدوا اعمال الرجال والحرفيين المهرة وليصبغوا المنسوجات بألوان الازرق والمخمل القرمزي"[٣٢]. ورغم تجاهل البعض لأصل واصحاب هذا الفن، لكنهم اغفلوا حقيقة مهمة تتمثل في كون العبرانيين بدوا متخلفين لا يعرفون شيئا عن التحضر الذي كان سمة الكنعانيين والفلسطينيين، فبدأوا بالاقتباس والتأثر بهم دينيا واجتماعيا وسياسيا، واكثر من ذلك، فأنهم خلعوا الجلود التي كانت لباسهم، واستبدلوها بالملابس الكنعانية الصوفية الجميلة، مما جعل من الصعوبة التفريق بينهم في المظهر الخارجي والمهنة واسلوب العيش[٣٣].

لقد عمد الكيان الصهيوني بعد احتلال فلسطين سنة ١٩٤٨م إلى سرقة التراث الفلسطيني وطمسه وتهويده مستخدما الطرق والوسائل المتنوعة، وفي تركيزه على الزي الشعبي الفلسطيني

قام بتسخير وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الخمسينيات من القرن الماضي بإدخال وحدات زخرفية جديدة، خاصة في مناطق المخيمات الفلسطينية في الدول العربية المجاورة، لذا انشأت مشاغل التطريز الممكنة والتي تستخدم وحدات وتصاميم زخرفية جديدة مثل الاكواخ الامريكية، ميكي ماوس، نساء عاريات، صور الاطفال والحيوانات الغريبة، كل ذلك لطمس التراث الفلسطيني وبيع المنتج بأسعار زهيدة وترويج الازياء الجديدة بدلا من الاصلية[٣٤]، كما وضعت العراقيل والعقبات للحيلولة دون استيراد الخيوط اللازمة للحياكة والتطريز من مصر والهند[٣٥]، وعلى المستوى الدولي ينسب الكيان الصهيوني لنفسه عناصر الزي الفلسطيني من خلال عروض الازياء التي تقيمها دور الازياء اليهودية والمهرجانات والمعارض التي يقيمها وينظمها باستمرار، كما يقوم بإصدار الكتب المتخصصة على شكل سلسلة الفولكلور الاسرائيلي[٣٦].

ولا يقتصر الامر على ذلك، حيث تلبس زوجات قاداتهم وسياسيهم الازياء الفلسطينية المسروقة في الحفلات والرحلات والمهرجانات الدولية، كما انتحلوا الثياب الفلسطينية المطرزة من نوع الردان والتي عثر في مجدو على نقش لفتاة كنعانية تلبسه، والتي اقترنت بالزي الرسمي لمضيفات شركة العال الاسرائيلية للطيران، فضلا عن ذلك سرقوا عناصر زخرفية ومنها زخرفة النجمة الثمانية ذات الاصل الكنعاني والتي يعود تاريخها إلى حوالي منتصف الالف الرابع قبل الميلاد، ولاتزال تظهر على الازياء الفلسطينية المطرزة، وتعتبر من اساسيات زخرفة فن التطريز الفلسطيني المعاصر[٣٧]، حيث عثر على نماذج منها في بيسان واريحا ومجدو وغزة وبئر السبع وجازر، كما تم استخدامها في زخارف قبة الصخرة المشرفة، وكان يرمز لها برموز عديدة منها كوكب الزهرة والهة الخصب عناة وغيرها[٣٨]، مما جعل زوجة وزير الدفاع الصهيوني السابق موشيه دايان تطمس معالمها وتستبدلها بالنجمة السداسية بزعم انها من التراث اليهودي[٣٩].

ولم يقتصر الامر على ذلك، فقد سرقوا التصميمات الخاصة بالملابس الداخلية النسائية الفلسطينية (الشلحة) وعرضوها كنماذج اثواب لفصل الربيع[٤٠]. ولم تنج الكوفية الفلسطينية من السرقة والطمس باعتبارها رمزا للشعب الفلسطيني، فمنذ ثورة ١٩٣٦ تم اعتماد الكوفية (الحطة) من قبل قيادات الثورة لتوحيد شرائح المجتمع وصفوف المقاومة، وبديلا عن العمامة

والطربوش الذي كان يميز اهل المدن، فقام الصهاينة بتحويرها والتعديل على معالمها الفلسطينية لتصبح كوفية يهودية يتم ترويجها في كل المحافل الدولية[٤١].وليس غريبا ان نرى الكيان الصهيوني يرفض تخصيص الموارد اللازمة لتدريس التراث الفلسطيني في المدارس العربية داخل الخط الاخضر، في الوقت الذي تسمح فيه بأحياء التراث الخاص بالأقليات كالدروز والبدو وغيرها[٤٢] وما ذلك الا لتجزئة التراث الفلسطيني من جهة، والتمييز الطبقي والعنصري بين شرائح المجتمع الفلسطيني ونشر الفتنة والكراهية بينها من جهة اخرى.

وسائل مواجهة الطمس والتشويه والسرقة والتهويد:

نظرا لتنوع الاساليب والادعاءات الصهيونية في طمس وتشويه وسرقة وتهويد الازياء الشعبية الفلسطينية منذ اللحظات الاولى لاحتلال فلسطين، كان لابد من الرد على ذلك حفاظا على تراثها وهويتها الوطنية بشتى الوسائل والاساليب الممكنة والتي من اهمها:

١- تأسيس المؤسسة الوطنية (صامد) وتجهيزها بالمشاغل الخاصة بالأزياء الشعبية الفلسطينية المعبرة عن اصالة الشعب الفلسطيني وجذوره الضاربة في اعماق التاريخ لأكثر من سبعة الاف عام.

٢- تنظيم المعارض العالمية الدائمة والمؤقتة لترويج التراث الفلسطيني وتسويق منتجاته وابراز ابداعاته المختلفة[٤٣]. مع العلم ان المعارض الصهيونية في الخارج تركز على قلب الحقائق وتزييفها، حيث تظهر الازياء الفلسطينية فيها تحت مسميات يهودية مزعومة يتم توظيف كل الطاقات لترويجها عالميا.

٣- العمل على كشف ثم فضح الممارسات الصهيونية عبر الوسائل الاعلامية المختلفة، ووسائل التواصل الاجتماعي التي اصبحت ذات تأثير كبير ويطلع عليها شريحة واسعة جدا من الناس، ليدرك الجميع محليا واقليميا ودوليا همجية واكاذيب المؤسسة الصهيونية.

٤- تشجيع وتطوير المهتمين والباحثين من الفلسطينيين والعرب وتقديم الدعم اللازم لهم للعمل على احياء التراث الشعبي الفلسطيني ونشر ثقافته والترويج لهما والمحافظة عليهما.

٥- تشجيع الارتباط والانتماء للتراث الفلسطيني الاصيل، والاستعداد لمواجهة العناصر الحديثة والدخيلة عليه خاصة في مجال الازياء الشعبية[٤٤].

٦- ترويج وعرض الازياء الشعبية الفلسطينية في كافة المناسبات بطرق جذابة، مثل عرضها بمصاحبة الاغاني الشعبية التي تثري معرفتنا بكل منطقة ينتسب اليها الزي[٤٥].

النتائج والتوصيات

١- هناك نوع من الجهل بزي الرجل الفلسطيني، واحيانا يصل الامر إلى التهكم والتهجم على الزي الشعبي ومرتديه والاستهزاء بهم. مما يتطلب تضافر الجهود لنشر التوعية الوطنية بأهمية هذا العنصر التراثي وضرورة الحفاظ عليه وحمايته من المخاطر المحدقة به.

٢- يوجد اهمال وتقصير من الوزارات والمؤسسات الفلسطينية ذات العلاقة بهذا المجال، كوزارة السياحة والاثار ووزارة الثقافة ووزارة الاعلام وغيرها، لأنها لا تضع موضوع التراث عامة ضمن اولوياتها، ولا تخصص الميزانيات الكافية لدعمه وتطويره. كما انها تفتقر إلى التشريعات والقوانين اللازمة لتنظيم وحماية التراث الفلسطيني وتوثيقه.

٣- العمل على تسجيل وتوثيق الانتهاكات الصهيونية فيما يخص التراث الفلسطيني عامة والزي الشعبي خاصة، لممارسة الضغوط الدولية على الكيان الصهيوني لإجباره على تغيير سياسته والحيلولة دون طمس هذا التراث العريق وتهويده. ثم السعي لان تصبح فلسطين عضوا كاملا في الهيئات والجمعيات الدولية كالأمم المتحدة واليونسكو وغيرها حتى تستطيع حماية تراثها وتحافظ عليه.

٤- تقديم كل اشكال الدعم والمساندة المادية والمعنوية للجمعيات والفرق والشخصيات المهتمة من مؤلفين وباحثين وكتاب واكاديميين في مجال الزي الشعبي الفلسطيني من اجل الحفاظ عليه من الانقراض، وفي نفس الوقت توفير مصدر رزق لهم، ثم ترويجه دوليا.

٥- تشجيع ارتداء الزي الشعبي الفلسطيني في المهرجانات والمناسبات الوطنية والاجتماعية والاكاديمية، ولا ضير في تخصيص اسبوع للتراث الفلسطيني يحتفل به سنويا وان لا يقتصر الامر على يوم التراث الفلسطيني الذي يصادف السابع من تشرين الاول من كل عام. مما يشجع على الاعتزاز بالذات الوطنية ويدعوا للتفاخر ويعمق الانتماء للهوية الفلسطينية.

٦- ضرورة ادخال موضوع التراث في المناهج المدرسية والمقررات الجامعية لما تمثله شريحة الطلبة من اهمية قصوى في حماية تراثهم والحفاظ عليه. إلى جانب اعداد وتخريج الكوادر والكفاءات المتخصصة في التراث بشكل عام. مع ضرورة استخدام التكنولوجيا في ذلك.

٧- تأسيس متحف وطني خاص بالتراث الفلسطيني، مع تشجيع اقامة المتاحف المحلية في كافة المدن الفلسطينية لنفس الغرض. لمسح وجمع وحفظ ودراسة وتقييم وعرض وصيانة وتأهيل المواد التراثية، وتنظيم المعارض محليا ودوليا لترويجه من جهة ومواجهة الهجمة الصهيونية ضد التراث الفلسطيني من جهة ثانية.

٨- انتاج المسلسلات والافلام والبرامج التلفزيونية والاذاعية التي تكرس اهتمامها بنشر الوعي التراثي والتعريف بأزياء فلسطين الشعبية سواء من خلال ملابس المذيعين والممثلين او من خلال البرامج الوثائقية المتخصصة. وكذلك وسائل التواصل الاجتماعي من فيسبوك وتويتر وواتساب وانستغرام وغيرها للتعريف بهذا التراث وسبل الحفاظ عليه والدفاع عنه ونشره.

٩- العمل على ابداع رموز جديدة، وفي نفس الوقت تحافظ على الطابع الفلسطيني، وذلك من خلال الموائمة والتناغم بين الازياء الشعبية القديمة وزخارفها المتنوعة مع الملابس الحديثة التي تستمد جمالها من اصالة الماضي. بمعنى ضرورة تكامل الايمان بالتراث والاندفاع نحو التقدم لاختلاق عناصر تراثية جديدة.

١٠- ان المجتمع بحاجة ماسة إلى تراث يستمد منه قوته لمواجهة كل ما يهدد وجوده. وفي المقابل لا بد من المحافظة على هذا التراث ورعايته من قبل المجتمع كله وهذه الرعاية نابعة من حب وتعلق هذا الشعب بتراثه وثقافته العريقة التي يعتمد عليها في اثبات حقه في هذه الارض المباركة.

هوامش البحث ومصادره:

١- عبدالرحمن المزين، الازياء الشعبية الفلسطينية، موسوعة التراث الفلسطيني، ط١، (منشورات فلسطين المحتلة وصامد، ١٩٨١)، ج١، ص١٥.

2-K.Kenyon ،Excavations at Jericho ،British School of Archaeology ،(Jerusalem ،1954) ،p.4.

٣- فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة:جورج حداد وعبدالكريم رافق، ط٢، (دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨) ، ج١، ص ٩٩-١٠١.

٤- نمر سرحان، موسوعة الفولكلور الفلسطيني، ط٢، (مركز الابحاث، الفلسطيني، عمان، ١٩٨٩)، ج٢، ص ٥٧٤.

٥- حسن نعيرات ومحمد جبر، الفنون الشعبية الفلسطينية، ط١، (وزارة الثقافة الفلسطينية وجامعة النجاح الوطنية، ٢٠١١)، ص ٧٢-٧٣.

٦- الموسوعة الفلسطينية، ط١ (دمشق، ١٩٨٤)، ج١، ص٢٠٤.

٧- شريف حمودة، الحطة الفلسطينية موضة أم قضية، مقال منشور على الموقع الاليكتروني

www.islamonline.net تم زيارة الموقع بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٨

٨- أحمد ابو خوصة، أزياؤنا الشعبية هويتنا العربية (الزي الاردني والفلسطيني)، (دار الفكر العالمي للدراسات، عمان، ١٩٩٣)، ص ١٥.

٩- ليزا كراجه، الزي الفلسطيني..سجل وتاريخ، مقال منشور على الموقع الاليكتروني

www.jalili48.com تم زيارة الموقع بتاريخ ١٠/ ٨/ ٢٠١٨

١٠- شريف كناعنه واخرون، الملابس الشعبية الفلسطينية، (جمعية أنعاش الاسرة، البيرة، ١٩٨٢)، ص٤٨.

١١- محمد سليمان شعث، العادات والتقاليد الفلسطينية، (دار النمير للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠٠٠)، ص٢١٧.

١٢- محمد خليل، الزي الفلسطيني عراقة التاريخ ونكهة الارض، مقال منشور على الموقع

الاليكتروني: تم زيارة الموقع بتاريخ ١١/ ٨/ ٢٠١٨ www.alqudslana.com

13- J.S.Rajab ،Palestinian Costume ،kegan Paul Internationl ،(London ،1989) ،p.105

١٤- نبيل عناني وسليمان منصور، دليل فن التطريز الفلسطيني، (جمعية انعاش الاسرة، البيرة، ١٩٨٩)، ص١٧.

١٥- يسرى عرنيطه، الفنون الشعبية في فلسطين، ط٣، (وزارة الثقافة، رام الله، ١٩٩٨)، ص٢٥٥.

١٦- ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨)، ص١٧٤.

١٧- ابتهال أمين وأخرون، التراث الملبسي للمرأة في فلسطين، ط١، (عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٩)، ص ٤٧-٤٨.

١٨- عرنيطه، المصدر السابق، ص٢٢٥-٢٣٠.

١٩- الموسوعة الفلسطينية، المصدر السابق، ج١، ص١٩٧-١٩٩.

٢٠- وداد كامل قعوار واخرون، التطريز الفلسطيني غرزة الفلاحي التقليدية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص٢٠.

٢١- امين واخرون، المصدر السابق، ص ٥١-٥٢.

٢٢- المصدر نفسه، ص ٤٥.

٢٣- عبدالرحمن المزين، الفن التشكيلي في فلسطين عبر التاريخ، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة حلوان، مصر، ١٩٧٥، ص ٥٤-٥٥.

٢٤_ ابو خوصة، المصدر السابق، ص١٣.

٢٥- محمد الجوهري، علم الفولكلور، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ج١، ص ٨٢٩-٨٣٠.

٢٦- منعم حداد، ما هو التراث. التراث الفلسطيني بين الطمس والاحياء، الطيبة، فلسطين، ١٩٨٦، ص١٧.

٢٧- المصدر نفسه، ص ١٧.

٢٨- المصدر نفسه، ص ١٧.

٢٩- المصدر نفسه، ص ١٧.

٣٠- المصدر نفسه، ص ١٧.

٣١- علي الخليلي، النكبة والهوية – فولكلور اكتشاف الذات، مجلة التراث والمجتمع، ع ٣١، جمعية انعاش الاسرة، البيرة، فلسطين، ١٩٩٨، ص١٧.

٣٢- سرحان، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٨٤.

٣٣- جيمس هنري برستد، العصور القديمة، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٢٢.

٣٤- المزين، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٩.

www.alqudslana.com ٣٥- – خليل، المصدر السابق، مقال منشور على موقع:

٣٦- – نادية البطمة، الفولكلور والهوية الفلسطينية، مجلة التراث والمجتمع، ع ٢٥، جمعية انعاش الاسرة، البيرة، فلسطين، ١٩٩٥، ص٣٧- ٣٩

٣٧- وليم البرايت، اثار فلسطين، ترجمة: زكي اسكندر ومحمد عبدالقادر، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، ١٩٧١، ص٧١.

٣٨- مازن عبد اللطيف، المكتشفات الاثرية ودورها في مواجهة محاولات طمس التراث الفلسطيني وتهويده، مجلة جامعة الخليل للبحوث، م٣، ع٢، الخليل، ٢٠٠٨، ص٨.

٣٩- ابو خوصة، المصدر السابق، ص١٣.

٤٠- البطمة، المصدر السابق، ص٢١١.

٤١- الموسوعة الفلسطينية، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٣.

٤٢- منعم حداد، الفولكلوريات الفلسطينية في الداخل. التراث الفلسطيني هوية وانتماء، مؤتمر التراث الشعبي الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠٠٧، ص١٤٩-١٥٠.

٤٣- المزين، المصدر السابق، ج١، ص٢١٣.

٤٤- المصدر نفسه، ج١، ص٢١١.

٤٥- عبدالعزيز ابو هدبا، ازياؤنا الشعبية هويتنا المطرزة، مجلة التراث والمجتمع، ع ٢٨، جمعية انعاش الاسرة، البيرة، فلسطين، ١٩٩٦، ص ٨٧-٨٨.